الإسلامى مغاربه ، وهو يضطلع لهذا العبء السياسى على خير ما يرجو المسلمون ، لذلك جعل الشعراء مدحهم أوفى لسيرورة ذكره وبسط اسمه فى العالمين ، فهو يقول فى المهتدى :

إمامٌ إذَا أَمْضَى الأُمُورَ تتابَعَتْ ... على سَنَن من قَصْدِهَا وسَدَادها
تَشَوَّفَ أهل الغَرْبِ فارم بعزمةٍ ... إلى إرَمٍ إذ ما نَعَتْ وعِمَادِها
لتسكن ضَوْضَاءُ العريش وتَنْتَهى ... فلسطون عن عِصْيَانها وعِنَادِها

وهكذا رسم للمهتدى حدود مملكته ووارف عدله فيها ، وذكر أياديه عليها ، فهى تنام مطمئنة حين يسهر الخليفة على رعايتها وحفاظها . والبحترى لا يقف عند هذا فى مديحه لأعمال الخلفاء ، وإنما يتطرق إلى ذكر صفاتهم الخاصة ، فيشيد ببلاغتهم وفصاحتهم كما أشاد بشار وأبو نواس من قبل ، فقال فى المعتمد على الله :

وإذا تكلَّم فاسْتَمِعْ مِنْ خُطْبَةٍ ... تَجْلُو عَمَى المُتَحَيِّرِ المرتَادِ
أفضى إليه المسلمون فَصَادفوا ... أدنى البرية من تقى وسَدَادِ

فالخليفة خطيب بارع وفصيح متكلم ، يجمع بين برديه ذلاقة اللسان وقوة البيان وطهارة النفس وسداد الفكر ، إلى عدالة يبسطها فى الرعية وأمن يعمه فى الأمصار ، فأحيا صفات المديح فى الجاهلية والإسلام وأضاف إليها مديح العباسيين وما يستحسنونه من خلفائهم وقد اتسعت رقعة الملك وفاضت المشاكل وكثرت الحروب ، ويعترف البحترى بأنه ينظر إلى المثل العليا عند الأجداد يحييها الخليفة ويكمل بها سيرة الآباء ، فيقول فى المتوكل على الله :

أحيا الخَلِيفَةُ «جعفر» بفَعَاله ... أَفْعَالَ آباءٍ له وجُدُودِ

ولا بد لنا من القول هنا إننا حين نستعرض صور المديح نلمح رسوم المعارك